عقوبة المتغزل

حكاية إسبانية من أصل عربي

Origen Arabe de un Cuento de
Luis de Zapata
Al-Andalus
Vol : XXXIV 1969
Fasc . 4

حكاية إسبانية من أصل عربي

في المجلد السابق من هذه المجلة[1] نشرت مقالا قصيرا حول حكايتين ، كلتاهما في «أيكة الأمثال الإسبانية» لصاحبها ملتشور دي سانتاكروث دي دوينياس ، (في طبعتها الأولى – طليطلة سنة 1547) ، وفي كتاب التاريخ المتنوع ، والمعروف باسمه الأكثر شهرة «المنتخبات» لمصنفه لويس دي ثاباتا دي شابس (كتبت في العقد الأخير من القرن السادس عشر ، وإن كانت لم تنشر إلا في سنة 1859 بعناية دون باشكوال دي جاينجوس) . وعن كلتا الحكايتين اللتين تكادان تكونان شيئا واحدا في الطبعات الإسبانية المتعاقبة أشرت إلى أصولها العربية ، وشفعت النص الأصلي بترجمته ، واقتصر عملي تقريبا في الوقوف على التشابه ، وإعادة نشر النصوص مجتمعة .

ولدى تحرير هذا المقال كانت لدي حكاية أخرى – إذا أطلقنا عليها هذا الاسم – لثاباتا ، وكذلك أصلها العربي فيما أعتقد ، بيد أني لم أرد أن أضمها إلى هذه الصفحات لئلا أخل بوحدة الموضوع مما جعلني مضطرًا من جانب آخر إلى الاستغناء عن عنوان كان قد راق لي .

وفي نهاية المقال أتحدث عن كيف استطاعت الحكايتان الولوج إلى الأدب الإسباني – بالطريق الشفوي بواسطة الموريسكيين من غير شك ، مادمنا لم نقف على

(١) هي مجلة «الأندلس» التي كانت تصدرها مدرسة الدراسات العربية بمدريد وغرناطة .

وسائط أخرى - أعني خصائص الحكايات التي انتقلت من الأدب العربي إلى الأدب الإسباني : الوجازة ، الأسلوب السهل البسيط ، الحكايات الملائمة أكثر للرواية كأنها مُلَح بسيطة ، وقد تحقق هذا في كثير منها ، وهي خصائص تمثلت في حكايتي اللصوص ، وفي ثلاث أخر نشرتها من قبل ، وفي حكايات متعددة جمعتها وأرجو نشرها قريبا .

هذه الخصائص - وإن كانت من نوع آخر ؛ إذ لا صلة لها بالفكاهة - أسهمت إلى حد أن كالديرون دي لا باركا نحت من قضيته في المشهد العاشر المشهور من مسرحيته «الحياة حلم» رواية فقيه قرطبي ، وتبناها كذلك دون خوان مانويل وقد درست هذه المسألة منذ سنوات . وثمة رواية أخرى لشاعر أندلسي من قرطبة الخلافة أيضًا - لكن هذه الرواية لها حواشيها الفكاهية - ولجت كذلك الأدب الإسباني ، في أمدوحة لاجوستين روخاس الذي بلغ بالمسألة غايتها الممكنة ، ومنحها كل اللطافة التي تستحقها ، وهو موضوع درسه حديثا صديقي العزيز وزميلي دون إلياس تيريس . وثمة حكاية عربية أخرى تحمل الخصائص ذاتها سجلها كتاب لاثاريو دي تورمس ، واكتشفها ودرسها بجدارة فرانثيسكو أيالا في مقال موجز وهام ، وهو موضوع أفكر في نشر تعليق عليه (يحمل طابعا جديدا) في هذه المجلة ذاتها .

قلت في مناسبة ما : الأصل العربي ، ونظرا للإطناب المطول اختصرته في النص الإسباني ، كنت أشير إلى الحكاية العربية التي أوحت إلى ثاباتا بموضوعه في إحدى حكاياته ، وهو موضوع أتناوله بالدراسة في الصفحات التالية :

بإيراد مثل صحيح يحكي ثاباتا واقعة حدثت - حسبما يروي هو - في إكستريمادورا ، تحت عنوان جانبي يشي بالهدف الأخلاقي : حكاية امرأة شريفة وزوج محترم ، وعقوبة رادعة وكافية . لنر ما يقول :

الحركات الأولى ليست في يد الإنسان ، وإلا فإنه في هذا العالم المحزن يحدث لامرأة شريفة أن يغازلها البعض بصورة ملحة لإزاحة من يحبها حبا جما ، وهي للوهلة الأولى لا ينبغي أن تخبر زوجها بذلك ؛ لأن هذا الكتمان لا يندرج تحت الخيانة العظمى للرب ، وهو بدون تمهل ، مر بفكره ، إلا أن امرأة محصنة يقتفيها رجل من إكستريمادورا أخبرت زوجها البعيد بذلك ، وعرفته أن رجلا يغازلها ، ويحاصر منزلها ، عابرا به ، ويناوش عفتها بطرق متعددة ، فقال لها زوجها ؛ عليها أن ترحب بالخصم في المنزل ، ونشر أنه ذاهب إلى الضيعة ، ويعود مختبئا في كمين . يدخل العاشق المخدوع ، فيخرج الزوج والزوجة وغلام لهما للدفاع ، فيغرونه ، ويقيدونه ، ويوثقونه في الطاحونة ، ويجعلونه يديرها بدلا من الحيوان ، ويجلدونه بالسوط ، جاعلينه يطحن ، أما الزوج – لعدم وعي المخدوع – خاشيا أن يموت ، فقد وخزه بالمهماز بعد بضعة أسواط ، وبعد عقوبته ، والتنكيل به بهذه الصورة ، أطلقوه وما عليه سوى قميص إلى داره ، وفي الصباح التالي أرسلوا إليه بفطيرة من الدقيق الذي طحنه جيدا .

تذكرنا الحكاية التي رواها ثاباتا ، والتي حدثت في إكستريمادورا (موطنه) بحكاية في ألف ليلة وليلة ، حدثت في بغداد ، حيث البطل – أو على الأصح البطل المخذول – نشاهده في مأزق متشابه ، إنه شيء من صروف الدهر التي حدثت للأخ الأكبر للحجام الذي يحكيها هو بنفسه للخليفة . تقريبا في بداية ألف ليلة وليلة ، ومن هذه الحكاية الطويلة نسبيا – لأن إخوة الحجام الستة يعانون خطوبا عديدة وغريبة – أنقل فيما يلي ؛ لراحة القارئ بدايتها فقط حيث نبدأ من مشكلة الطاحونة:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الأول وهو الأعرج كانت صفته الخياطة ببغداد ، فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال ، وكان ذلك الرجل ساكنا في الدكان ، وكان في أسفل دار الرجل طاحون ، فبينما أخي الأعرج جالس في الدكان ذات يوم إذ رفع رأسه ، فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الناس .

فلما رآها أخي تعلق قلبه بحبها ، وصار يومه ذلك ينظر إليها وترك اشتغاله بالخياطة إلى وقت المساء ، فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر إلى الروشن ، فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيئا ، يساوي درهما ، فاتفق أن صاحب الدار جاء إلى أخي يوما من الأيام ومعه قماش وقال له فصل لي هذا وخيطه أقمصة ، فقال أخي سمعا وطاعة ، ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا إلى وقت العشاء ، وهو لم يذق طعاما ، ثم قال له كم أجرة ذلك فلم يتكلم أخي ، فأشارت إليه الصبية بعينيها ألا يأخذ منه شيئا ، وكان محتاجا إلى الفلس ، واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب إلا القليل بسبب اجتهاده في تلك الخياطة . فلما فرغ من الخياطة التي لهم ، أتى إليهم بالأقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال أخي ، وأخي لا يعلم ذلك ، واتفقت هي وزوجها على استعمال أخي في الخياطة بلا أجرة ، بل يضحكون عليه ، فلما فرغ أخي من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة ، وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالا له : ابت الليلة في الطاحون ، وإلى الغد يكون خيرا ، فاعتقد أخي أن لهما قصدا بريئا ، فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية يغمز الطحان عليه ، ليدوره في الطاحون ، فدخل عليه الطحان في نصف الليل ، وجعل يقول إن هذا الثور بطال مع أن القمح كثير ، وأصحاب الطحين يطلبونه ، فأنا أعلقه في الطاحون حتى يخلص طحين القمح ، فعلقه في الطاحون إلى قرب الصبح .

فجاء صاحب الدار فرأى أخي معلقا في الطاحون ، والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى ، وبعد ذلك جاءت الجارية التي عقد عليها وكان مجيئها في بكرة النهار فحلته من الطاحون ، وقالت له قد شق علي وعلى سيدتي ما جرى لك ، وقد حملنا همك ، فلم يكون له لسان يرد جوابا من شدة الضرب ، ثم إن أخي رجع إلى منزله ، وإذا بالشيخ الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه ، وقال له : حياك الله ، زواجك

مبارك أنت بت الليلة في النعيم والدلال والعناق ، من العشاء إلى الصباح ، فقال له أخي : لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد ، والله ما جئت إلا لأطحن في موضع الثور».

ليس من الضرورى التحليل بعمق ؛ للوقوف على نقاط التشابه في الحكايتين مستغنين عن العقدة ، إذ هي أشد تعقيدًا في ألف ليلة وليلة – وهي أشد تعقيدا فيما لم أنقله من الأصل – . حكاية ثاباتا مضمنة في الكتاب العربي ، مع فارق يسير ؛ فالشخصية لدى ثاباتا تعاني العقوبة التي حملتها إليها جارتها ، بينما أخو الحجام التعيس الذي لم يتجاوز التأمل (وإن كان ملحا) لامرأة جميلة ، وجارة متدللة ، يرى مسخرا في بؤس ، وأسير طائفة من التعاسات ضحية عدوان الزوجين وشرورهما ، وواضح أن مغامرة الطاحونة تعطي انطباعا بأن ألف ليلة وليلة تضم صورة منقحة جدا لحكاية أكثر بساطة مع إضافة سلسلة من العناصر تبدو غير مناسبة تمامًا ، وهي على كل حال تدخل في إطار الكتاب المشهور .

في كتاب «جمع الجواهر في الملح والنوادر» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني (توفى في سنة 1022) أديب القيروان ، والمعروف خاصة بكتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» والذي صادف ذيوعا باعتباره من كتب الأدب في إسبانيا الإسلامية ، عثرت تحت عنوان – لعله من وضع الناشر – ؛ لأنه موضوع بين معقوفتين (يطحن مكان الحمار) على حكاية منسوبة للمدائني ، أعتقد أنها الأصل الواضح لحكاية ألف ليلة وليلة ، ومنها أخذ لويس دي ثاباتا حكايته ، لكن قبل أن نوردها نتوقف لحظة لنعرف بالمدائني للقراء غير المتخصصين في العربية – والذي نقل منه الحصري حكايته :

هو علي بن أبي سيف ، يكني بأبي الحسن ، ويلقب بالمدائني ؛ لأنه عاش في مدينة المدائن قبل أن يستقر نهائيا في بغداد ، ولد في البصرة سنة 135 هـ / 752 م ، ومات في بغداد في تاريخ غير محدد ما بين سنة 215 / 830 وسنة 231 / 845 . مارس كتابة الأدب والتاريخ ، ومن نتاجه الغزير الذي نعرف منه أكثر من مئتي عنوان لم يصل

إلينا فيما يبدو أكثر من كتاب واحد في مجلدين ، وهو غير كامل ، وغير منشور حتى الآن ، بيد أننا نعرف أن مصنفاته أفاد منها مؤرخون وأدباء أتوا بعده ، وإن كانوا لم ينبهوا إلى هذه الإفادة دائما ، ينبغي إذن أن نشكر أبا إسحاق الحصري الذي اهتم بالإشارة إلى مصدر الحكاية التي نتحدث عنها ، الأمر الذي يسمح لنا بأن المسألة كانت موجودة قبل قرنين في أحد كتب الأدب العربي ، وهذا هو النص الذي نقله الحصري أورده هنا :

حكى المدائني قال : كان في المدينة امرأة جميلة عفيفة ذات زوج ، وكان فتى من أهل المدينة يتبعها كلما خرجت ويعرض لها ، فلما آذاها شكته إلى زوجها ، فقال لها : فما عندك في أمره حيلة ؟ قالت : قد فكرت في شيء إن ساعدتني عليه ، قال : فأنا أساعدك فبعثت جاريتها إليه تقول : إن الذي بقلبي منك أكثر مما بقلبك مني . ولكني امرأة مستورة ، ولا أعرف الفساد . فكنت أمتنع عليك وفي قلبي النار . فلما بلغته الرسالة استطار فرحا ، وقال للجارية : ما أدري كيف أؤدي شكرك إذ جرى هذا الأمر على يدك . فبلغيها السلام وقولي لها : إني صائر إليك غدا ، ووهب للجارية دينارا ،وطالت ليلته حتى أصبح فوجه إليها بجدي وفاكهة .

فقالت الجارية : قد وجب علي شكرك لإجابتك إياي في حاجة مولاتي ، وأنا أشير عليك بحيلة بها يتم أمرك . قال : وما هي؟ قالت سيدتي فيها حشمة وخجل وانقباض عن الرجال ، فإذا جلست معك فلا تتعرض لها بكلام ولا بغيره ، حتى تشرب معك أقداحا ، قال : نعم .

وصعدت الجارية فعاونت سيدتها على إصلاح الجدي والطعام ، فلما أحكمتاه نزلت الجارية وبسطت لسيدتها مصلى وجاءت فسلمت وقعدت ، وجاءت الجارية بالطشت والماء فغسلت أيديهما ، ووضعت المائدة بينهما ، وجاءت بالجدي والطعام .

فحين أخذ المخذول اللقمة فوضعها في فمه جاء الزوج فقرع الباب ، فوضعت المرأة يدها على رأسها ، وقالت : افتضحت وهلكت . فقال : دعي الجزع واحتالي

في موضع أكمن فيه إلى خروجه ، قالت : ما أعرف موضعا يخفى عليه إلا أن تحل الحمار الذي في الدهليز وتقوم في مكانه . فقال : افعلي ، فجاءت الجارية إلى حمار يطحن في الدهليز مشدود العينين ، فنحته وربطت المغرور مكانه ، وقالت : اطحن مكان الحمار ، ولا تمسك فيفطن بك ؛ فإني أرجو أن يخرج سريعا ، وترجع إلى سرورك ، ثم فتحت الباب ودخل الزوج ، فقالت له : خرجت على أن تقيم أياما ، فما الذي جاء بك الساعة ؟ قال : كنت عزمت على ذلك فمر بي إخوان فعرضت عليهم المقام في الضيعة ، فقالوا : لا يمكنكم اليوم ، ولكننا إن شاء الله تعالى نصير إليك غدا فأردت أن يكون مجيئكم إلى البيت أسهل علي ، فبادرت إليك لتصلحي ما يحتاجون إليه وخاصة الدقيق ، فينبغي ألا يفتر الحمار في الدقيق .

فجلسا يأكلان والمخذول يطحن ، ثم وضعا نبيذا وجعلا يشربان ، والزوج يقول ساعة بعد ساعة : هاتي العصا لكي أقوم لهذا الحمار الملعون ؛ فإني أراه كسلان، ونحن نحتاج إلى الدقيق كثيرا ، فتقوم الجارية فتقول له : الله الله في نفسك ، لا تفتر ، فإني أخاف أن يقوم فيراك .

فلم يزل يطحن دائبا ، والرجل يشرب مع امرأته إلى أن طلع الفجر ، فقام الرجل فتهيأ للصلاة وخرج إلى المسجد ، فحلت المغرور وقالت : طر إلى بيتك لئلا يراك إنسان فتفتضح . فخرج يعدو على وجهه عريان ويده على سوأته ، فدخل إلى منزله ، وبقي مسبوتا مطروحا على وجهه لا يحرك عضوا .

فلما كان بعد مدة قالت المرأة لزوجها : قد بقى علينا شيء من الولع بالمخذول . قال : شأنك . فبعثت إليه . وقالت : مولاتي تقرئك السلام ، وتقول لك : الله يعلم ما تداخل قلبي مما نزل بك ، ولو وددت أني أقيك بنفسي ، ولكن المقادير تنزل من السماء ، وإني إليك لمشتاقة ، فأحب أن تصير إلينا ، فإن زوجي قد خرج إلى موضع له فيه مقام شهر ، فنستأنس جميعا ونسترجع ما فاتنا ، فالتفت إليها سريعا وقال : عسى قد فرغ دقيقكم .

الحكاية التي يرويها لنا ثاباتا هي بلا أدنى شك حكاية الحصري التي نقلها عن المدائني ، وإن كانت موجزة جدا مع بعض الفوارق التي لا تمس جوهر الحكاية ، ولا تلغي الحوار كله ، وهو في ذروة البلاغة في النص العربي ، والجارية التي تلعب دورا مهمًّا في النص العربي اختفت (ربما استبدل بها الغلام) في حكاية ثاباتا ، وفي الروايتين ، اتفق كل من الزوج والزوجة اللذين أحكما حصار المتغزل على عقوبته ، وفيهما تبدأ الحيلة بالخروج المظنون للزوج إلى الضيعة ، وفي كلتا الحكايتين العربية والإسبانية ينتهي المتغزل إلى أن يوثق بالطاحونة ، وإن كان في الحكاية الأولى يتولى المخذول إيثاق نفسه ظانًّا أنه بذلك ينجو من الزوج ، بينما في الحكاية الثانية يتولى الزوج والزوجة والغلام إيثاقه مكان الحمار ، ويعاقبونه بسلسلة من المهانات (بينما ينجو – ذلك في النص العربي) وفي كلتيهما يفك وثاقه ، ويمضي إلى داره عاريا أو شبه عار ، وفي النهاية بعد بيان التغيرات لفحوى واحدة مختلفة بلا جدال ؛ فالنص العربي يحمل شحنة عظيمة من السخرية ، وإن كان في النص القشتالي ظرف أيضًا .

يبدو من المنطقي التفكير في أن حكاية المدائني التي جمعها الحصري ، وجمعها – كما هو معتقد – مصنفون آخرون لكتب الأدب ، قد عرفت وذاعت في إسبانيا الإسلامية ، ربما اعتبرت حكاية شعبية حتى أخذها ثاباتا ، شديدة الوجازة ومشوهة – فيما نعتقد – من مأثور شفوي ، ولم يتردد في ضمها إلى كتابه ، ورسمها بميسم يجمع بين الندرة والسخرية ، وروايته للموضوع بعيدة جدا عن الأصل العربي مما لا يجعلنا نفكر في وجود ترجمة مباشرة ، كما حدث بالنسبة لحكاية أخرى عنده ، عثرت على أصلها العربي – لحسن الحظ – في جمع الجواهر للحصري .

يبدو أنه ليس من المخاطرة الاعتقاد بأن حكاية المدائني – وأعاد صياغتها بصورة مناسبة من يعرف أكثر من رواية – قد وجدت مكانا – على صواب كبير – في كتاب ألف ليلة وليلة ، وعلى كل حال أعتقد أنها لم تلفت نظر أحد ، وبلا ريب

فليس ثمة إشارة في بيليوجرافيا شوفان ، وكتاب الحصري نشر منذ سنوات قلائل مما يجعلنا نعتقد – على كل حال – أن حكاية المدائني موجودة في كتب الأدب الأخرى ، إلى حد إمكان وجودها في فلكلور شمال افريقيا .

موضوع الزوجة التي يتعقبها آخر ، والتي تتحرر منه من خلال أملوحة قاسية بمساعدة الزوج موضوع شائع في الأدب العربي إلى حد كبير . فثمة حكاية مماثلة في جوهرها للحكاية التي رأيناها آنفا ، في كتاب الوزير القاضي الغرناطي أبي بكر محمد بن عاصم (1426 - 1339) بعنوان «حدائق الأزاهر» وهو مصنف عثرت فيه على حكايات متعددة ولجت الأدب الإسباني ، ولأجل الوقوف في حكاية ابن عاصم على صدى محتمل أيضا – وهو شيء بعيد جدا – في مصنف لكاتب إسباني آخر ، وختامها كما نرى يتبع الخط الساخر ذاته للحصري . تعطي الحكاية التي يرويها ابن عاصم في أسلوب سهل جدا انطباعا بأنها منقولة من حكاية شفوية تقول الحكاية :

ورأى رجل مؤذن في صومعته امرأة فأعجبته ، فجعل يكلمها من الصومعة ويشير إليها فشكت ذلك لزوجها ، وكان حجاما فقال لها : إذا طلع الصومعة وأشار عليك وكلمك فأشيري عليه ، ففعلت ، فنزل من الصومعة وجاء إلى بابها فلما دخل عليها جاء زوجها وقد كان ينظر إليه على بعد ، فدخل عليها ، فبادرته المرأة ، وقالت له : إن سيدي المؤذن له مطحنة موجعة ، فانظرها له ، فنظرها ، وقال: لابد من خلعها ، وأخرج ماعونه ، وخلع له مطحنة ، ثم قالت : كانت صحيحة . وإنما المؤلمة غيرها ، ثم خلع له أخرى والمؤذن ساكت ، ثم خرج وهو يظن أن المرأة حاولت عليه لئلا يفتضح مع زوجها ، فلما كان بعد ذلك رآها وكلمها وأشارت إليه ومضى إليها وزوجها ناظر إليه ، فلما دخل فعل معه مثلما فعل أولا ، ثم خرج وجعل يكلمها وتشير عليه ، فدخل إليها وفعل به زوجها مثلما فعل وهو

يظن أن ذلك حيلة من المرأة في ستر ، حتى لم يعد في فمه سن ، ثم شعر أن ذلك كان حيلة عليه ، فطلع يوما للصومعة فرأته المرأة ، فأشارت إليه ، فأشار إلى فمه ، وقال لها : والله ما بقي فيه سن ، فأي شيء تريدين مني .

في الكتاب اللطيف «دليل تنبيه الغرباء الوافدين على بلاط دون أنطونيو لينيان إي بيردوجو» المنشور في سنة 1620 حين يحكي دون أنطونيو للمايسترو كوارث فليثيانو ما يشكل قوام القصة والعبرة الأولى ، يدمجها الراوي ليوضح روايته ، ليس في ذرعي أن أدلل على أن هذه الحكاية هي حكاية المؤذن والزوجة التي ذكرتها آنفا ، بيد أنه في اعتقادي أنها عبارة عن أصل بعيد ، لندع الكلمة لدون أنطونيو (وهو نفسه لينيان إي بيردوجو في رأي مانويل دي ساندوبال) .

عندما حكى لي هذا الفتى المخذول تلك المسألة ، تذكرت ، وأنت يا سيدي المايسترو تتذكر أيضًا ما حكاه لنا صديقنا المقيم في الأحياء الراقية عن أن أحد الحجامين كانت له زوجة شابة وجميلة ، وبما أن كثيرين يذهبون إلى داره ليحلقوا لحاهم ، كانت زوجته تجلس في شرفة واطئة ، تلبس ملابس جديدة ، تقوم على عمل منضدة المحل ، وبعض المهام الأخرى المتعلقة بالمهنة كالنظافة ، وأواني الحلاقة، بينما هو يصدر بفمه كالصفير . ورجال الكورت يصوبون أعينهم كالسهام نحو المرأة ، ويتوجهون إليها توجه الذباب إلى العسل . ورغم أنهم حلقوا لحاهم بالأمس ، فإنهم يريدون حلقها اليوم ، لكن لم يكد يجلس الذي يريد الحلاقة على الكرسي ، وتوضع عليه الفوطة ، والصابون على لحيته ، والموس الأولى لا تكاد تلامس الصابون ، حتى نهضت المرأة ، وحنت رأسها في احترام كبير ، ودخلت منفجرة من الضحك لرؤيتها كيف أن ذلك الطائر وقع في أول شرك ، وبهذه الصورة لم يفقدوا أبدا لحي للحلاقة ولا جرحى للحجامة ، ولا يكفي إعطاء تحذير إلى المخدوعين القادمين إلى الوقوع في الشرك والمكيدة :

كيف تفعل الحيلة فعلها في أحوال هذه الدنيا !!

أكرر أنه من الصعب التدليل على أن حكاية «دليل وتنبيه الغرباء» للينيان إي بيردوجاس هي الصورة النهائية - تقريبا غير معروفة - لحكاية حدائق الأزاهر لابن عاصم ، ولست أحاول أن أقنع أحدا بهذا . فالحلاق وزوجته في حكاية لينيان يقومان بدور هو إلى حد ما الدور في الحكاية العربية ، وإن كان باعث الاتفاق الزوجي هو الربح في حكاية لينيان لا الحماسة في ترك المتغزل منكلا به ، وهو السبب الأساسي - وهو ما حدث على كل حال مع كثيرين ذهبوا إلى المغازلة - في الحكاية العربية (وهو واضح مع أنهما لم يقولاه لنا في أن الحجام استخدمه في الحصول على بعض المكاسب لقيامه بدور غير ضروري في مهنته) .

فالمؤذن - على العكس - اختفى من الرواية القشتالية ، وقام بدوره بعض السذج العابرين بالقرب من الحانوت ، وانبهروا «بالمرأة» وهم الذين - من جانبهم - سقطوا صرعى في أول شرك ، دون أن يوهموا أنفسهم بالطموحات التي ساورت المؤذن ، فضلا عن أن المرأة هي التي تقوم بخداعهم حين يجلسون بين يدي زوجها ، بينما الخداع في الحكاية العربية مسوغ من أجل السخرية ، والتنكيل بالمؤذن الذي شرع في مغازلة زوجة الحجام ، وعلى العكس ، فالأمر في الحكاية الإسبانية عبارة عن «غش» ؛ فإن الحلاق وزوجته هما اللذان ينصبان الشباك لصيد الغافلين ، وبما أنهم كثيرون فإنهما ليسا بحاجة إلى التمويه الذي هو أساس في الحكاية الأولى ، لأنهما يتعاملان مع واحد فقط .

نشير ؛ لختام هذا المقال - إلى أن الحجام (Alfajeme) بعمله المزدوج (حلاقا وخالع أسنان) قد اختير في كل من الحكايتين بشق واحد من مهنته المزدوجة ليناسب العقدة الفنية المرادة .